اليعقوب الحجل الذكر

عنها ويقال ان الحبارى يموت كمدا اذا انحسر عنها ريشها ورات صويحباتها يطير وكل الطير يتسافد بالاستاه الا الحجل فان الحجلة
تكون في سفالة الريح واليعقوب في علاوتها فتلقح منه كما تلقح النخلة من الفحال بالريح والحبارى شديد الحمق يقال انها احمق
الطير وهي اشده حياطة لبيضها وفراخها والعقعق مع كونه اخبث الطير واصدقها خبثا واشدها حذرا ليس في الارض
طائر اشد تضييعا لبيضه وفراخه منه ومن الطير ما يؤثر التفرد كالعقاب ومنه ما يتعايش زوجا كالقطا والظليم يبتلع
الحديد والحصى ثم يميعه بحر قانصته حتى يحيله كالماء الجاري وفي ذلك اعجوبتان التغذي بما لا يغذو واستمراؤه وهضمه
شيئا لو طبخ بالنار ابدا لما انحل وكما يخرق الحديد جوف الظليم فاحاله كذلك يخرق الصخر الاصم لاذناب الجراد فاذا اراد ان يلقي بيضه
غرز ذنبه في اشد الارض صلابة فانصدع له وذلك من فعل الطبيعة بتسخير الصانع القديم سبحانه كما ان عود الحلفاء الرخص
الدقيق المنبت يلقى في نباته الاجر والخزف الغليظ فيثقبه وقد رايت في مسناة سور بغداد في حجر صلد نبعة نبات قد
شقت وخرجت من موضع لو حاول جماعة ان يضربوه بالمعاول الشديدة مدة طويلة لم يؤثر فيه اثرا وقد قيل ان ابرة العقرب
تنفذ في الطنجير والطست وفي الظليم شبه من البعير من جهة المنسم والوظيف والعنق والخزامة التي في انفه وشبه من
الطائر من جهة الريش والجناحين والذنب والمنقار ثم ان ما فيه من شبه الطير جذبه الى البيض وما فيه من شبه
البعير لم يجذبه الى الولادة ويقال ان النعامة مع عظم عظامها وشدة عدوها لا مخ فيها واشد ما يكون عدوها
ان تستقبل الريح فكلما كان اشد لعصوفها كان اشد لحضرها تضع عنقها على ظهرها ثم تخرق الريح ومن اعاجيبها
ان الصيف اذا دخل وابتدا البسر في الحمرة ابتدا لون وظيفيها في الحمرة فلا يزالان يزدادان حمرة الى ان تنتهي حمرة البسر
ولذلك قيل للظليم خاضب ومن العجب انها لا تانس بالطير ولا بالابل مع مشاكلتها للنوعين ولا يكاد يرى بيضها
مبددا البتة بل تصفه طولا صفا مستويا على غاية الاستواء حتى لو مددت عليه خيط المسطر لما وجدت لبعضه
خروجا عن البعض ثم تعطي لكل واحدة نصيبها من الحضن والذئب لا يعرض لبيض النعام ما دام الابوان حاضرين
فانهما متى نقفاه ركبه الذكر فطحره وادركته الانثى فركضته ثم اسلمته الى الذكر وركبته عوض فلا يزالان يفعلان
به ذلك حتى يقتلاه او يعجزهما هربا والنعام قد تتخذ في الدور وضررها شديد لان النعامة ربما رات في اذن الجارية
قرطا فيه حجر او حبة لؤلؤ فخطفته فاكلته وخرمت الاذن او رات ذلك في لبتها فضربت بمنقارها اللبة فخرقتها

الاصل ومن كلام له عليه السلام خاطب به اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل
نفسه على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء الله على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة
مريرة واما فلانة فادركها راي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما اتت الي
لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على الله تعالى **الشرح** يعتقل نفسه على الله يحبسها على طاعته ثم ذكر ان السبيل
التي حملهم عليها وهي سبيل الرشاد ذات مشقة شديدة ومذاقة مريرة لان الباطل محبوب النفوس فانه اللهو واللذة
وسقوط التكليف واما الحق فمكروه النفس لان التكليف صعب وترك الملاذ العاجلة شاق شديد المشقة والضغن الحقد
والمرجل قدر كبيرة والقين الحداد اي كغليان قدر من حديد وفلانة كناية عن ام المؤمنين عائشة ابوها ابو بكر
وقد تقدم ذكر نسبه وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن اذينة بن سبيع بن دهمان بن
الحرث بن غنم بن مالك بن كنانة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بسنتين بعد وفاة خديجة رضي
الله عنها وهي بنت سبع سنين وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع سنين وعشرة اشهر وكانت قبله تذكر لجبير بن مطعم
وتسمى له وكان رسول الله صلعم رأى في المنام عائشة في سرقة من حرير متوفى خديجة فقال ان يكن هذا من عند الله
يمضه روى هذا الخبر في المسانيد الصحيحة وكان نكاحه اياها في شوال وبناؤه عليها في شوال ايضا وكانت تحب ان
يدخل النساء من اهلها واحبتها على ازواجهن في شوال ردا بذلك على من يزعم من النساء ان دخول الرجل بالمراة بين
العيدين مكروه وتوفي رسول الله صلعم عنها وهي بنت عشرين سنة واستاذنت رسول الله صلعم في الكنية فقال لها
اكتني بابنك عبد الله بن الزبير يعني ابن اختها فكانت تكنى ام عبد الله وكانت لها عليه جرأة وادلال لم تزل بها

٣٤٩

حتى كان منها في امره في قصة مارية ما كان من الحديث الذي اسره الى الزوجة الاخرى وادى الى تظاهرهما عليه وانزل فيهما
قرآن يتلى في المحاريب يتضمن وعيدا غليظا عقيب تصريح بوقوع الذنب وصغو القلب واعقبتها تلك الجراة وذلك الانبساط
ان حدث منها في ايام الخلافة العلوية ما حدث وقد عفا الله تعالى عنها وهي من اهل الجنة عندنا بسابق الوعد وما صح
من امر التوبة وروى ابو احمد بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في باب عائشة عن سعيد بن نصر عن قاسم بن اصبغ عن محمد
بن وضاح عن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع عن عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لنسائه
ايتكن صاحبة الجمل الادبب يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت قال ابو عمر بن عبد البر وهذا الحديث من اعلام نبوته
صلعم قال وعصام بن قدامة ثقة وسائر الاسناد فثقة رجاله اشهر من ان تذكر ولم تحمل عائشة من رسول الله صلى
الله عليه وآله ولا ولد له من مهيرة الا من خديجة ومن السراري من مارية وقذفت عائشة في ايام رسول الله صلعم بصفوان
بن المعطل السلمي والقصة مشهورة فانزل الله تعالى براءتها في قرآن يتلى وينقل وجلد قاذفوها الحد وتوفيت في سنة
سبع وخمسين للهجرة وعمرها اربع وستون سنة ودفنت بالبقيع في ملك معوية وصلى عليها المسلمون ليلا وامهم ابو هريرة
ونزل في قبرها خمسة من اهلها عبد الله وعروة ابنا الزبير والقسم وعبد الله ابنا محمد بن ابي بكر وعبد الرحمن بن عبد
الرحمن بن ابي بكر وذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة المذكورة فاما قوله ادركها راي النساء اي ضعف
آرائهن وقد جاء في الخبر لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امراة وجاء انهن قليلات عقل ودين او قال ضعيفات ولذلك
جعل شهادة المراتين بشهادة الرجل الواحد والمراة في اصل الخلقة سريعة الانخداع سريعة الغضب سيئة الظن فاسدة
التدبير والشجاعة فيهن مفقودة او قليلة وكذلك السخاء واما الضغن فاعلم ان هذا الكلام يحتاج الى شرح وقد
كنت قراته على الشيخ ابي يعقوب يوسف بن اسمعيل اللمعاني رحمه الله ايام اشتغالي عليه بعلم الكلام وسالته عما
عنده فيه فاجابني بجواب طويل انا اذكر محصوله بعضه بلفظه رحمه الله وبعضه بلفظي فقد شذ عني الان لفظه كله بعينه
قال اول بدء الضغن كان بينها وبين فاطمة عم وذلك لان رسول الله صلعم تزوجها عقيب موت خديجة فاقامها مقامها
وفاطمة عليها السلام هي ابنة خديجة ومن المعلوم ان ابنة الرجل اذا ماتت امها وتزوج ابوها امراة اخرى كان بين الابنة
وبين المراة كدر وشنآن وهذا لا بد منه لان الزوجة تنفس عليها ميل الاب والبنت تكره ميل ابيها الى امراة غريبة
كالضرة لامها بل هي ضرة على الحقيقة وان كانت الام ميتة ولانا لو قدرنا الام حية لكانت العداوة مضطرمة متسعرة
فاذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة وفي المثل عداوة الحماة والكنة وقال الراجز ان الحماة اولعت بالكنة
واولعت كنتها بالظنة ثم اتفق ان رسول الله صلعم مال اليها واحبها فازداد ما عند فاطمة عليها السلام بحسب زيادة
ميله واكرم رسول الله صلعم فاطمة عليها السلام اكراما عظيما اكثر مما كان الناس يظنونه واكثر من اكرام الرجال لبناتهم
حتى خرج بها عن حد حب الاباء للاولاد فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لا مرة واحدة وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد
انها سيدة نساء العالمين وانها عديلة مريم بنت عمران عليها السلام وانها اذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش
يا اهل الموقف غضوا ابصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد وهذا من الاحاديث الصحيحة وليس من الاخبار المستضعفة وان انكاحه
عليا اياها ما كان الا بعد ان انكحه الله تعالى اياها في السماء بشهادة الملائكة وكم قال مرة يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما
يغضبها وانها بضعة مني يريبني ما رابها فكان هذا وامثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم
والتبجيل والنفوس البشرية تغيظ على ما هو دون هذا فكيف هذا ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها اعني عليا عم
فان النساء كثيرا ما يحصلن الاحقاد في قلوب الرجال لا سيما وهن محدثات الليل كما قيل في المثل وكانت تكثر الشكوى من
عائشة ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلن اليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن الى بيت عائشة فينقلن اليها كلمات
عن فاطمة وكما كانت فاطمة تشكو الى بعلها كانت عائشة تشكو الى ابيها لعلمها ان بعلها لا يشكيها على ابنته فحصل في نفس
ابي بكر من ذلك اثر ما ثم تزايد تقريظ رسول الله صلعم لعلي عليه السلام وتقريبه واختصاصه فاحدث ذلك حسدا له وغبطة
في نفس ابي بكر وهو ابوها وفي نفس طلحة وهو ابن عمها وهي تجلس اليهما وتسمع كلامهما وهما يجلسان اليها ويحادثانها فاعدى

Copyright ... University